ماجد سليمان

ما رَوَته كاميليا

حكايات

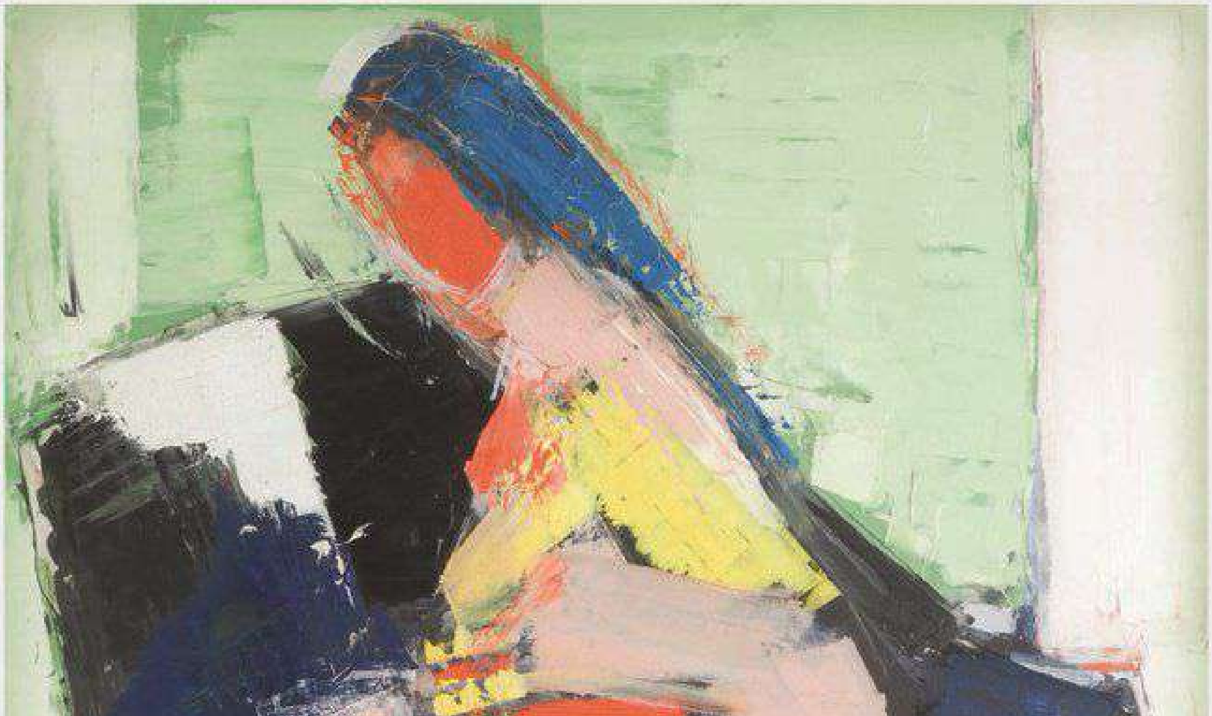

النادي الأدبي بالرياض

ماجد سليمان

مَا رَوَتْهُ كَامِيلْيَا

ماجد سليمان

مَا رَوَتْهُ كَامِيلْيَا

حِكايات

النادي الأدبي بالرياض

ⓗ النادي الأدبي بالرياض، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العضياني ، ماجد سليمان
ما روته كاميليا. / ماجد سليمان العضياني. ـ الرياض ، ١٤٤٠هـ
٨٨ ص؛ ١٤.٥×٢١.٥ سم
ردمك: ٠ـ١٨ـ٨٢٣١ـ٦٠٣ـ٩٧٨

١ـ القصص القصيرة العربية ـ السعودية أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ١٤٤٠/٣٠١٩

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٣٠١٩
ردمك: ٠ـ١٨ـ٨٢٣١ـ٦٠٣ـ٩٧٨

الطبعة الأولى، 2019

الرياض: حي الملز. شارع صلاح الدين الأيوبي (الستين) شمال حديقة فهد الفيصل
ص.ب: ٨٥٣١ – الرياض: ١١٤٩٢ – هاتف: ٤٧٦٦٥٣٠ – فاكس: ٤٧٨٧٢٤٦

@adabiriyadh1
adabiriyadh@gmail.com
@adabiriyadh
أدبي الرياض
www.adabiriyadh.com
@adabiriyadh

توزيع :

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ هاتف: 303339 522 212+
Email: markaz.casablanca@gmail.com
بيروت ـ هاتف: 352826 1 961+
Email: cca_casa_bey@yahoo.com

إلى شهرزاد..

صَاحِبَةُ اللَّيالي، وصَانِعَةُ الحِكَايَات..

م. س

«الحِكاية، كلمة مُحايدة، تُريحني من تقعّرات النقّاد، ومن نقد المتقعّرين..»

غازي القصيبي

«أنجبتك امرأة، ورافقت طفولتك امرأة، وعاشرت رجولتك امرأة، وَمَسَّدَت شيخوختك امرأة، إذن.. امرأة بأقلام أيّامها دَوّنت دفتر عمرك..»

م. س.

فهرس الحِكَايَات

مَحَطَّةُ البَاص 11
I. حِكَايَةُ أشياءٍ لا تذْبُل 17
II. حِكَايَةُ عَفْرَاء 19
III. حِكَايَةُ معالي الوزير 34
IV. حِكَايَةُ سَلْمى 38
V. حِكَايَةُ الحُلم 43
VI. حِكَايَةُ عجوز المقهى 49
VII. حِكَايَةُ الإرهابي الصغير 51
VIII. حِكَايَةُ ثَكْلاء 52
IX. حِكَايَةُ الشَّاب المُتظاهِر 54
X. حِكَايَةُ الخمسينيّ المطلوب 55
XI. حِكَايَةُ ليلتين 57
XII. حِكَايَةُ الرجل الشرقي 59

XIII. حِكَايَةُ الفتاةِ والمَطَر 61
XIV. حِكايَةُ الأربعين ريالاً 64
XV. حِكَايَةُ نَعْش 66
XVI. حِكَايَةُ الفتى وخَبَرِ أُمّه 68
XVII. حِكَايَةُ البَدَويّ المُدلج 70
XVIII. حِكَايَةُ البهلول 73
XIX. حِكَايَاتٌ صِغار 75
الخاتمة ـ مَحَطّة البَاص 78

مَحَطَّةُ البَاص

زحفت بعينيها الفاتنتين التعبتين على زجاج السيارة الخلفي المتّسخ، لترى محطة الباص وهي تبين قريباً، ولوحة إلى جانب الطريق كُتب عليها: محطة الباص 1 كيلو.

«لا يمكنني أن أقلّك أبعد من هذا..».

كان ذلك ما علّقه سائق الأجرة على سمعها وهي القابعة خلفه، حملت كتبها على ردفها، ومشت تحت شمس مايو تجاه محطة الباص شبه القريبة.

«كَامِيلْيَا»، تركت مدينتها وجلست مع حقيبتها المكعّبة في انتظار الباص، بعد أن قَطَعَت تذكرة الذهاب مجاناً، لقاء قُبْلَةٍ طويلة وضعتها على شفة بائع التذاكر الأسمر.

أبواق السيارات والباصات تتمازج، تنتظر الباص كي يحملها إلى بلد لجوء، بعد صمت طويل، التقطت حقيبتها، وأخرجت ورقة نُزعت من كتاب أصفر الأوراق، ومضت تقرأها في صمت.

وصل الباص، وازدحم المسافرون على بابه، فَجَلَسَت في المؤخرة، بعد أن وَضَعَت حقيبتها بهدوء، وتحسّست جيبها اللاصق على ردفها، مطمئنة على بطاقة الهوية وموافقة العمل.

سألت السائق الحنطي الحليق، وهو يتفقّد أماكن جلوس الركّاب:

- كم من الوقت نحتاج لنصل؟..

حكّ أسفل ذقنه:

- اخرسي، سآخذك إلى حيث نذهب..

نظر خِلْسَةً إليها رجل يجلس أمامها، وضحك في سِرِّه، حتى بان اهتزاز كتفيه، لكزته من جانبه امرأة تحمل بين يديها كيس أدوية شعبية.

لحظتها صعد إلى الباص رجل أربعينيّ، شَفَتَاه منفرجتان، ووجهه كوجه الشارد، أطال ينظر في المسافرين، وقع بصره عليها فلاح له بياضها وجذبه خصرها النحيل، ونهداها الفتيان من خلف اللباس، قامتها ممشوقة كمهاةٍ مبتهجة بالبراري، صغيرة الفم، مسكوبة الجسد، راقدة العينين، سوداوان واسعتان، وكفّها تعبث بأطراف بلوزتها الصفراء الضيّقة، فكأنّه رآها من وراء السنين الطوال، لتضيء له غربته عن الوطن، استجداها ملاطفاً:

- هل لي بالجلوس إلى جانبك؟

مسحت فمها بقماشة صغيرة، وأشارت إلى المكان:

- بإمكانك ذلك.

استوى جانباً وأصلح من هندامه، وأراح حقيبته أسفل منه:

- أهلاً بكِ.. قال لها.

- أهلاً بكَ.. قالت له.

بعد وقت قصير سألته:

- من أين أنت؟

- مطرود من رحمة الوطن، لا عمل، ولا أسرة، ولا حتى هويّة.

شَبَكَ أصابع يديه ثم ابتسم مردفاً:

- أنا من الذين ولدوا يوم قُتل الملك فيصل.

- ولم أنتَ بلا هويّة؟!..

- سُحبت هويّتي بسبب مقال عبَّرت فيه عن رأيي تجاه سياسة وطني، صرت بعدها صديقاً لمحطات الباصات، لعلي أجد وطناً يفهمني.

سكتا.. ثم التفت إليها:

- وأنتِ؟

- ما بي؟

- ما حكايتك؟

- ما لك وحكايتي؟!. . طويلة، وسترهقك بلا فائدة.

- احكي لي، اعتبريها ضيافة الطريق.

صَمَتَا لدقائق ثم لاعبت خصلتها مبتسمة قائلة:

- كان قد مضى أكثر من سبع سنين، حين حضر رجال باللباس العسكري، تفحصونا، وجسّوا صدورنا ومؤخراتنا، إلى أن وجدت نفسي في سيارة من الطراز الأميركي والسائق والراكب لا يكلماني البتّة، انتهى بي الأمر ببيع المشروبات الغازية في شارع أبي نواس، قرب الرصافة على ضفة نهر دجلة.

- وماذا صنعت بك الحياة على ضفة دجلة، وفي شارع عريض كشارع أبي نواس؟!

جمعت يديها إلى حقيبتها:

- قضيت أدفع دينارَين لقاء النوم في جاخور قديم، يجاور المقاهي المتناثرة على شريط شارع أبي نواس، تملكه امرأة كردية، كنت أقضي الليالي متمدّدة على سرير يلفّه اليأس، محملقة في سقف شديد الانخفاض، ملأته الأمطار بالشقوق والأوساخ، ماضية في استرجاع ذكرياتي المريضة.

- وهل أبطأت في ذلك الجاخور؟. .

- لا . . بعد أسابيع كان الحظ قد أنقذني لأعمل نادلة في مقهى العم كريم، ذلك العجوز الذي دفعني للحياة حين ظننت أني قضيت نحبي دون موت، أصبحت أكثر امرأة تقدِّم وجبة «المكسوف» العراقية للزبائن، مع وجبات شعبية أخرى، يتبعها الشاي العراقي الثقيل، متجاوزة سخرية الزبائن، وغزلهم الثقيل، في ذلك المقهى قضيت عشر سنين حتى توفي العم كريم، مات على كرسيه الهزّاز قبالة المقهى، مات الذي أنقذني من الحياة التي تشبه الموت، فتحوا وصيته بعد نهارين من دفنه، وأنقدوني ما بقي من أجرتي لأنصرف بعد إغلاق المقهى الذي وجدت في أحد جدرانه أوراقاً مطويّة حُشرَت في ثقب عميق بانت أطرافها مقدار الخمس سنتمترات.

صمتت وبلعت ريقها بصعوبة ثم أكلمت:

- تركت مقاهي أبي نواس، وغابت عن ذهني صرخات السكارى، وصيحات الساهرين، بعد أن استللت الأوراق الصفراء المهترئة من مكانها، قرّرت بعدها البحث عن بلد للجوء الأبديّ.

- وماذا في تلك الأوراق؟

- حكايات

- حكايات؟! ومن دوّنها؟

- لا أعرف، في ظني أنه العم كريم، بدى لي أنها

جزء من جزء كبير مخبّأ في مكان آخر في المقهى، لم أعثر عليه طوال عملي هناك.

- أظنها شهادات من وقائع عاصرها رحمه الله.

- قد يكون هو ذلك.

- استفززتي رغبتي لسماع حكاياتك.

ابتسمت قائلة:

- سأقرأ عليك منها، لنقطع بها ما بقي لنا من ساعات، المهم أن لا تقاطعني أو يغلبك النعاس.

ضحكا سوية، وأشار بجفنيه بقبول ذلك، فأخرَجَت كومة أوراقٍ من حقيبتها، وأفردتها على فخذيها وَمَضَت تُقلّب فيها، فجاءت إشارة الباص مُعلنة بدء الرحلة.

I. حِكَايَةُ أشْياءٍ لا تَذْبُل

قالت كاميليا:

أغدقت على صدرها عطراً فاتناً، ولبست بنطالاً فضفاضاً، وظَفَرَت على رأسها زهرة حمراء صغيرة، تجلس على الرخام المكعّب، وهي تدير بين أصابعها صورته حين كان مُراهقاً: حنطيّ البشرة، ذو عينين زرقاوين.. ماضيةً تنظر إليه وهو يرسل شفرة الحلاقة فوق ذقنه الصغير، جَرَح نفسه من جرأة عينيه وهي تختلس النظر إليها، فسألته مبصرةً صورته باسمة:

- إنك جميل الآن أكثر من مراهقتك..

فأفلتت ساتر النهدين لتبهره استدارتهما، إلى حدٍّ جعله يضع الشّفرة جانباً، ودون أن يزيل رغوة الحلاقة أشار إلى حلمتيها الحمراوين سائلاً:

- ما بالهما لا يذبلان كبقيّة الأشياء؟!..

فأطلقت ضحكة رنّانة:

- كيف لهما ذلك وهما منزلقان دوماً في ربيعٍ غراميٍّ عصيٍّ!..

التقط يدها فقاومته كقطّة، فتبدّدت حالهما على طلقات المدافع وأصوات أجراس الإنذار، وطَفَحَت عظامهما خوفاً، فأمسك بها كي لا تسقط، وبقيا جامدين حتّى هوى المنزل فوقهما، فوضع جسداهما في نعشين متجاورين.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

II. حِكَايَةُ عَفْرَاء

قالت كاميليا :

يُحكى أنَّ الشمس كانت تغزو سماء البادية، تُسقِطُ شرشفها الأصفر المخلوط بحمرة الشروق على خيام البدويات اللاتي خَرَجْنَ قبل الفجر لمجاهدة الحياة الشاقّة من جديد، وليس في ما يقمن به من جديد: حاطبة للحطب والشجر. . حالبة للغنم. . خابزة الطحين لصغارها. . جالبة الماء من بئر الصحراء المتهالك. . ذاهبة ورائحة فوق الرّمال الذهبيّة.

هذا هو حال البدويّات، لا مغريات في حياتهنّ، ولا مجال للتسلية إلا في رحاب البيداء الواسعة، حياتهنّ عمل متواصل حتى يذوب قرص الشمس خلف جدار الغروب، ليرمين أجسادهنّ الذابلة على فُرُش الراحة، إلى أن ينتشر صوت نداء الفجر في آخر قطرة من الليل البهيم، ليبدأن نشاطهنّ الذي لا يتغيّر نمطه، ولا تتلوّن طبيعته.

عفراء، فتاة بدوية في عامها الثاني والعشرين، ماتت أمها بعد ولادتها بسويعاتٍ قليلة، ديدن عفراء كل يوم هو احتطاب الآمال في الكشف عن خبايا حظٍّ يسترها، وينقلها إلى عشٍّ جديد، بعيدة عن تسلّط عمّها الذي لا يعرف من الحياة غير الجبروت.

لا تملك عفراء غير شويهاتها الخمس، وناقتها المسنّة، هذا ما تركه لها أبوها بعد أن غادر أروقة الحياة ميتاً، وهي قابعة فوق رمضاء عمّها، ترتشف حياةً قاسية، وترتدي جلباب خوفٍ من المستقبل.

في ليلةٍ هَرعت نجومها خلف ستارة الظلام، وانقسم وجه القمر الذي تشبه استدارته وجه عفراء، وانقضى أكثر من نصف الليل، فتحت عينيها المحاطتين بجنودٍ من الأهداب الذابلة في حوض الأمل والرجاء، نظرت إلى سقف خيمتها، ونسيم الليل يلاعب قنديلها البائس، ويُغنّي قصب الخشب المجوّف كل ما انحدر الهواء داخله.

جلست ترمق موت الجمر من حول دلال القهوة التي يفخر بها العرب في كل شؤونهم، ثمّة ضيق يجاهده قلبها الغض، ما الأمر؟. . ليس من عادتها أن تصحو في منتصف الليل، ولا حتى في آخره، ما أعجب هذه الليلة، كأنّ السكينة لا تعرف درباً إليها.

عادت لتضع رأسها على وسادتها العتيقة التي نحرت

على قماشها المبلّل دموعها الحمراء، وأحلامها الشفّافة، وآمالها الخضراء.

حاولت مغازلة النوم، ولكن النعاس لا يطفو على عينيها الجميلتين، وكأنّ الخشية من صباح الغد تؤرقها بشدّة بليغة، وقبل الفجر بساعة أو أقل، قطف النوم عينيها، لتنام هذه الساعة فقط في هدوء.

صباحٌ يجترّ خلفه ظهيرةً مُحرقة، وظهيرةٌ تسحب وقت العصر ببطء متواضع، وعصرٌ يمشي برداء الخيلاء، وينشر البرودة قُبيل المغيب، لتنقضي صلاة المغرب بابتداء توافد رجال القبيلة إلى مجلس عمّ عفراء الشيخ مسلط، الذي انتقلت إليه زعامة القبيلة بعد وفاة أخيه أبو عفراء.

يحتسي الرجال القهوة، وعفراء تجلس مع نساء القبيلة في مجلس النساء الخلفي لمجلس الرجال.

وبعد دقائق من اجتماع القوم، وقف شيخٌ طاعنٌ في السن يُدعى باتل، قد انهال حاجباه على عينيه من الكِبر، ونَحَل عُوده، وجفّت ينابيع حياته، وقال:

- يا شيخ مسلط، هناك عهدٌ ووعدٌ قديمين بيننا فماذا فعلت؟

اتسعت دائرتا عيني الشيخ مسلط، وأحس بعدم ملائمة المكان والزمان لمثل هذه الأحاديث، وأجاب:

- قريبٌ إن شاء الله، قريب.

فقال العجوز:

- يا شيخ مسلط، هذا جوابك منذ عشر سنوات، ما الأمر يا رجل؟!

أحس الشيخ مسلط بحرجٍ كبير، فقال:

- يا شيخ باتل سنتفاهم أنا وأنت بعد صلاة العشاء إن شاء الله.

بَصَق العجوز خلفه، وعاود الالتفات للشيخ مسلط من جديد ودَحْرَج قوله ببطء:

- لك ما شئت أيها الشيخ، لك ما شئت.

تنفّس الشيخ مسلط الصعداء، وعادت دقّات قلبه لوضعها الطبيعي.. ثمّة سرٌّ قديم بينهما.

عفراء بين نساء القبيلة، ضاحكة لهذه، ومبتسمةً لتلك، ومسلّمةً على تلك، وما زال قلقها الذي هجم عليها ليلة البارحة جاثماً على مزاجها الأبيض.

قُضيت صلاة العشاء، دقائق حتى وطأت عصا الكهل باتل تراب مقدمة خيمة الشيخ مسلط، مُردّداً:

- على الوعد أتيت، يا مخلف الوعد.

آلم قوله الشيخ مسلط، فقذف من فِيهِ حروف اللوم والعتب قائلاً:

- ألا إنك لجاحد يا هذا، أنت تعرف جيداً مدى

الظروف التي تكبّدتها مع ابنة أخي عفراء، ومدى محاولتي فتح مثل هذا الموضوع معها برفق حتى تبرأ ذمّتي أمام القبيلة، ولكني لم أجد حتى فرصة للكلام معها بمثل هذا.

تقدّم إليه باتل قائلاً:

- ولكن يا شيخ مسلط، عشر سنوات أليست كفيلة بأن تفي بوعدك لي؟!

جلس الشيخ مسلط بعد وقوف قصيرٍ، وزفر بشدّة وقال:

- لا تنسَ أنك عجوزٌ لم يبقَ لك في الحياة سوى أيام، ولو أنني أريد الخلاص من عفراء لما قطعت معك هذا الوعد التعيس.

سكت قليلاً ثم أكمل:

- أتدري؟.. غداً صباحاً سوف أخبرها بأن الخميس القادم هو موعد زواجها منك.

ابتهج باتل وقال:

- أنا في انتظار الردّ غداً قُبيل الظهر.

وبعد أن ابتلع الظلام ذلك العجوز الأحدب، وقف الشيخ مسلط أمام خيمته وهو يُكلّم نفسه:

- ما أثقلك من عجوز، وما أعندكِ من فتاة، يبدو أنني سأدخل في معركة جيدة معكِ يا عفراء.

دخل بعدها إلى مخدع نومه وأغلق على نفسه ليخلد إلى النوم.

عندما نشرت الشمس ضياءها على الصحراء، كانت عفراء اليتيمة تجلب الماء من أحد الآبار القريبة من حدود القبيلة، فإذا يصيح بها الصائح من بعيد:

«عفرااااء، عفرااااء».

التفتت بسرعة، وإذا الصائح هو ابن عمّها الصغير زيد، فقالت:

- ما خَبَرك يا زيد؟

وحين وصلها، جثى على ركبتيه من شدّة العدو، وأخذ يحاول تمكين رئتيه من أخذ النفس، ثم قال:

- يا عفراء أبي يريدك حالاً.

فقالت مُحادثة نفسها:

«ما أمرك يا عمّي؟ لم أعد أرتاح لكثرة طلباتك لي، رحماك يا رب».

ثم أردفت جَاهِرة:

- اذهب إليه، وقُل له بعد أن أجلب الماء سوف أجيء إليه حالاً.

عاد الصغير أدراجه، ليخبر أباه.

وقبل أن تشتدّ حرارة ما قبل الظهيرة، أقبلت عفراء على خيمة عمّها، ونادت بصوتها الشجيّ:

- عَمّاه، هل طلبتني يا عَمّاه؟

خرج الشيخ مسلط من بين أروقة الخيمة الكبيرة، وقد انفرجت أساريره، وأقبل عليها قائلاً:

- أهلاً بابنتي عفراء أهلاً، تفضّلي يا ابنتي إلى المختصر.

دخلا إلى مختصر الخيمة العائلي، وجلست عفراء تلعب بخصلة من جديلتها، وهي في شكٍّ من موضوع تحجير ابن عمّها بكّار، الذي ما زال مُصرّاً على أنه أولى بها من الغريب كما هو الحال في أعراف وتقاليد العرب القديمة.. قال الشيخ مسلط وأصابع يده اليمنى تخلخل لحيته:

- يا ابنتي عفراء، تعلمين أنكِ الآن امرأة...

قاطعته قائلة:

- أرجوك يا عمّي، إن كنت تريد أن تُعيد الجدال معي بشأن ابنك بكّار فالجواب قد وَصَلك من خمس سنين، وأظنك حاولت بما فيه الكفاية لتقنعني به، أُعيدها لك للمرّة الأخيرة: لست موافقة على ابنك بكّار، ولو كلّفني حياتي.

ثم همّت بالوقوف، فشدّ ساعدها وأجلسها:

- أنا لم أُكمل كلامي، ولم تسمعي ما أُريد قوله لكي حتى تقاطعيني، وَتُهمّين بالنهوض سريعاً.

قالت له والحيرة تنتشر على وجهها الورديّ:

- يا عمّي أنا لست جارية لديك، أنا ابنة أخيك، كيف ترضى علي الزواج بالقوة من ابنك الذي لا أُطيق حتى رؤيته؟

وما أن أتمّت آخر حرفٍ من جملتها، حتى تجرّأت يده على صفع خدّها الفائح بعطر الطهارة، قائلاً:

- لقد تمرّدت أيتها الحمقاء.. قلت لكي اسمعيني حتى أنتهي، ومن ثَمّ قولي ما تريدين.. تبّاً لكي، بناتي وهنّ بناتي اللاتي من صلبي لم يتجرأن عليّ كما فعلتِ!!

وما هي إلا بُرهة قصيرة من الوقت حتى أجهشت بالبكاء المر، مُتوسّلة إليه بالعدول عن الكلام في هذا الأمر.

سكت الشيخ مسلط قليلاً ينتظرها تهدأ، ثم قال:

- يا عفراء لم أطلب مجيئكِ هنا من أجل ابن عمّك بكّار، لكن من أجل عهدٍ ووعدٍ قطعته بعد وفاة أبيكِ باثنتي عشرة سنة مع رجلٍ طلبكِ مني، وقد تمّمت له ذلك حين تكونين في سنّ الزواج، والآن يجب أن أفي بوعدي له.

وقفت عفراء على قدميها الناعمتين، والعجَبُ يكسوها كثيابها، قائلةً:

- هاه، ماذا تنوي يا عمّي، أخشى أنّك تريد أن

ترميني لابنك ظاهر الذي غاب ثلاث سنوات، ولا نعلم أهو حيّ أم ميت؟!

التفت لها وقد تقافزت من عينيه كلمات الحقيقة المرّة قائلاً:

- يا عفراء، أنتِ من الخميس القادم ستكونين في بيت زوجكِ الشيخ باتل، ولا رجعة لدينا لكن أحببت أن أخبرك حتى تبرأ ذمّتي.

نفض مشلحه البنّي، وخرج من المكان وهو يتمتم بكلام لا يُفهم.

بقيت عفراء مكانها مُتخشّبة، صامتةً كالجماد، عيناها الذابلتان تكبتان الدمع الحارق عن الخروج من شدّة سوط المفاجأة، قالت تحاكي نفسها:

«باتل العجوز الخَرِف!!.. باتل الكهل الأحدب!!.. زوجي أنا!!..».

عفراء تلك الفتاة الفاتنة، تلك الوردة الحمراء، يقطفها شوك ذلك العجوز، إنها الدهشة والحماقة معاً، في زمن واحد.

أخذت عفراء تجوب ممرات القبيلة دون وعي، وقد كبّل هذا الخبر قلبها الحزين، إنه الخبر الذي يهوي بها إلى دركٍ من العذاب النفسي والجسدي، وصلت إلى مخدعها، وألقت بنفسها على فراشها الرّث.

سحابةٌ من الهم خيّلت فوقها، وانقباضٌ شديد داخل صدرها الهش، وحين رمى الليل عباءته على الصحراء، وخبر زواجها قد سعى مسعى النار في الهشيم، وعلِم به كل فردٍ في القبيلة، أغضب من أغضب، وأبكى من أبكى، وأزعج من أزعج.

فتاةٌ صبيّة يتزوجها كهلٌ عجوز!!

علامات التعجّب بدت على وجه الكثيرين، ما عدا أقارب هذا الخَرِف، كانوا يرون أن هذا الزواج أمرٌ طبيعيّ، وأن عفراء لا بدَّ لها أن تحمد الله إذ أتاها خاطبٌ ولو كان عجوزاً كباتل، والبعض يرى أنها يتيمة، ومن المفترض أن ترضى ولو بالعجوز باتل، والبعض الآخر يرى أن هذا قسمة ونصيب، يجب أن تقنع نفسها به.

تقبع عفراء في مخدعها اليتيم، ودودة الهم تنخر عظام صبرها وجلدها، وحشرات القهر تجوب صدرها وعروقها، كَثُر الكلام، ونساء القبيلة لم يعد لهنّ إلا عفراء، أصبحت تمرة أفواههنّ المغتابة، ولبانة أسنانهنّ الماضغة لأعراض البشر. نساء القبيلة لم يعد يحلو لهنّ الاجتماع إلا على مائدة الحديث عن زواج عفراء، ولم يعد همّ كل واحدةٍ منهنّ إلا مراقبة العدّ التنازليّ لزواجها.

في صبيحة اليوم التالي، زارتها إحدى صديقاتها واسمها خولة، تُهوّن عليها وتواسيها، فحين دخلت عليها

رأتها شاحبة الوجه، متورّمة الأجفان من شدّة البكاء، فقالت لها:

- كيف أنتِ يا عفراء؟

نظرت إليها عفراء ثم ألقت بنظرها المنهك أرض المخدع، وكأن أحداً لم يجئ. . جلست خولة بجانبها، وهمست مرّة أخرى:

- عفراء، ما بالكِ يا صديقتي؟

لا فائدة، فعفراء لا تنطق بأيّ حرفٍ، وكأن اللغة هاجرت لسانها وفمها الشبيه بالخاتم، سكوتٌ يجتاح فضاء المخدع، ووترُ الحيرة الداكن، تعزفه عفراء في أرجاء المكان الملتفّ بحزنها وقلقها، لا أبٌ لها يحميها من ظلم العم، ولا أمٌّ لها تأوي إلى حضنها في مثل هذه العواصف.

أعادت صديقتها السؤال للمرّة الثالثة:

- عفراء، قولي ولو كلمة.

لحظات حتى ارتفع بصر عفراء، ليمتدّ إلى الصحراء المجدبة، مُرسلةً شهقة البكاء المحرق، وأرخت صديقتها جديلتها المظلمة حول عينيها، لكي تنحر دمعها، حتى لا تراها عفراء، ويزيد انهزامها أكثر عن ذي قبل.

في أحد ممرات القبيلة التقى ثلاثة من الفتيان،

أحدهم رثّ الثياب، ممسكٌ بخطام جمله المسنّ، مُحمّلاً فوقه بضائع التجارة:

- ما خبر هذا الزواج الذي أوقدت به نار السجال في كل بيت؟!

فأجابه الثاني، وقد كان ممتطياً فرسه، ويبدوا أنه سائس للخيل:

- العجائب السبع أصبح الشيخ باتل ثامنها.

ثم أخذ يقهقه بصوت عالٍ جداً، فقال الثالث الذي نزل عن ظهر فرسه الحمراء، ولفّ حبل الرسن على كفّه الأيمن لفّتين، وقبض عليهما بشدّة:

- لن تكون عفراء بأحسن من غيرها، لقد سبقتها نساء كثيرات، كُنّ رهن القيود لمثل هذه الزيجات المضحكة، أما باتل فليس بآخر الأنانيين الذين لا يقبلون لبناتهم مثل هذه الزيجات.

وفي يوم الزفاف استيقظت عفراء على صوت أذان الفجر، وقذفت بشرشفها الحزين، ثم وقفت على قدمين ضئيلتين، رافعة سبابتها اليمنى، لتشدوا بـ لا إله إلا الله، فتمتلئ رئة المكان بطيب الذكر والتشهّد، ودخلت للوضوء، وبعد أن قضت فرضها، ألقت بجسدها المنهدم على فراشها البائس، وبدأت ذاكرتها تعرض مشاهد الحياة التعيسة.

أتت ليلة الزفاف، أقيمت العرضات، وغنّى الشعراء، ورقصت النساء، ولعبَ الصبية في عَرَصات المحفل.. برهة من الوقت حتى أتى العريس باتل، برهة حتى وطأت أقدامه الهشّة رمل المحفل، ثم جلس في مكانه المخصص، الذي لا يليق إلا بشابٍّ قويّ فتيّ مستطيع.

لحظات حاسمة ويلتقي بعفراء، لحظات ويدخل عشّ الزوجية، لحظات وتبدأ النهاية لحياة عفراء الصبيّة.

قريبات عفراء ينتظرنها تناديهنّ من داخل خيمة العروس، لكي يأخذنها إلى خيمة الزفاف، وبينما عفراء داخل الخيمة تُبصر وجهها البدري في مرآةٍ بحجم الكفّ تغفو على يديها القطنيّة، إذا بوجهها قد أصابه خسوف المآل إلى مثل هذا العجوز باتل.

عيناها أكلهما الدمع، وهيمن عليهما الحزن، وشفتاها أيبستهما كلمات الرجاء إلى عمّها كي ينجدها من هذا المصير، جَمَعت شتاتها، ثم خرجت من الجهة الخلفيّة المطلّة على ظلمة الصحراء، تعدو قاصدة آبار القبيلة، تعدو تدوس بقدميها شوك الأرض، وتتلقّف كعبها الأحجار والجلاميد، وتهاجم الأعشاب الشوكيّة ثوبها وتثقبه من كل ناحية.

بعد وقت قصير من الركض، اتضحت لها الآبار العتيقة بأخشابها الهزيلة، وقفت تنظر إلى أعدادها القليلة،

فقرّرت أن تختار قبرها بنفسها، وأن تُصدر أمراً بكيفيّة الموت المُحبّب إليها، لأنها لم تعد ترى في العودة للعيش بين أفراد القبيلة أيّ جدوى.

استدارت للجهة التي يُشعّ المحفل منها بأنواره وأهازيجه الصاخبة، بينما رصاص الفرح يصنع ثُقوباً في قطن السماء، اختارت أكبر وأعمق بئرٍ بين تلك الآبار، ووقفت على حافته الكبيرة، تنظر خلفها، وأنوار الحفل ما زالت تُشعُّ كاللهب، وأصوات أفراد القبيلة تتفاقم فرحاً وسروراً.

أدارت وجهها إلى البئر العميقة، وقذفت بجسدها المليء بالمفاتن إلى هاوية البئر ليرتفع صراخها الانتحاري، مُعلناً الرفض لمثل هذا الزواج.

سمع النسوة الصّوت المنزلق في الآذان كالماء الساخن، فأحسسن أن عفراء قامت بما لا يُتوقّع منها، فتحن خيمة العروس، لا أحد سوى الجهة الخلفيّة مفتوحة تجاه الصحراء المعتمة، فاتجهن كخيل السباق الأصيلة إلى حيث جاء الصّوت، بينما هرعت إحداهنّ إلى محفل الرجال مُنادية ملء صوتها:

«أنجدونا يا رجال، أنجدونا يا رجال».

سمع الرجال الصوت وأقبلوا إليه، وكأن الريح من تحتهم، أقبلوا فرادى وجماعات، حفاة ورُكّاب وما بقي

في أرض المحفل إلا باتل العجوز، الذي أرعبه الموقف فجحظت عيناه من وقع الفجيعة، فأخذ يتحسّس عصاه بجانبه ثم لحق بهم.

أقبل الرجال إلى حيث قتلت اليتيمة نفسها، أشعلوا القناديل الحزينة، وحين نزل أحدهم رأى جسد عفراء وقد ارتطم بهاوية البئر، مُعلناً رحيلها عن الدنيا، عيناها شامختان إلى أعلى، وكأنها قائلة لهم: «ويلٌ للظالمين من ملك الملوك».

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

III. حِكَايَةُ معالي الوزير

قالت كاميليا:

يُحكى أنَّ الممرضين تزاحموا أمام باب سيارة الإسعاف الخلفي، والأجهزة الطبيّة تُحيط بالمريض كشبكة العنكبوت، واضطرابٌ كبيرٌ ينتشر في قسم الطوارئ المنكوب بنقص الكوادر، والمتطلبات الخاصة.

شابٌ صدمته سيارة أحد أبناء كبار المجتمع بسرعة مُخيفة، فولّى سائقها هارباً.. في الجهة المقابلة، اتصالاتٌ هاتفيّة أفقدت الأجهزة الهاتفيّة صوابها، وأربكت مسيرة إنقاذ المريض الحرجة، رَفَع أحد الممرضين أقرب السماعات قائلاً:

- نعم

فأتاه الصوت المزعج:

- أشرعوا أبواب المشفى، وأفرغوا أفضل الأقسام وأهدأها.

صادمه الممرض:

- من أنت؟

فارتفع صوت المتصل:

- لا تطل الكلام يا صبي، سيارة معاليه تقترب من البوابة الرئيسة للمشفى.. استعجلوا..

أردف الممرض على كلام المتصل:

- ولكن هناك مريضاً أدخلناه للتو!..

فصاح به المتصل:

- لا تلقي بنفسك إلى التهلكة يا أحمق، السيارة تقلّ معاليه.

ثم أغلق الخط بوجه الممرض الذي حاصره الأمر بواقعه المرير، وحين أُدخل المريض غرفة الطوارئ، ما هي إلا ثوانٍ حتى توقّفت سيارة من الموديلات الفخمة، وأنزلا من مقعدها الخلفي كهلاً حليقاً تكسو الذنوب وجهه العريض، وأتى صوت مدير عام المشفى من آخر الممرّ المؤدي إلى غرفة الطوارئ:

- أخلوا الغرفة.. أخلوا الغرفة..

فارتجف الممرضون، ودفعوا بالسرير المتحرّك الملقى على صفيحته ذلك الشاب الذي اختلفت عظامه من شدة الصدمة إلى جانب الممر خارج غرفة الطوارئ ليدخل معاليه.

تجمهر جميع الأطباء لمسابقة الوقت الهارب، واستنفار يجوب ممرات المشفى، وتعميمٌ عاجلٌ يصدر من الإدارة العامة بالمشفى بسرعة تواجد جميع الممرضين والممرضات حول غرفة معاليه، بينما هناك شاب تتصاعد صرخاته من وقع الألم عليه.

قال مدير المشفى مخاطباً الوزير:

- لا بأس عليكم، طهورٌ إن شاء الله..

فرمقه ذلك الكهل:

- هناك صداع قد وَثَبَ على دماغي من صباح هذا اليوم، فرأيت أنه لا بدَّ من الذهاب إليكم.

بدأ الأطباء يأخذون بكل عضوٍ هزيلٍ في هذا الهرم، فتأكد أنه يعاني من صداع متوسط الدرجة، فمدّ له أحدهم قصديرة يتقافز اللمعان من أطرافها:

- هذه ستساعدك إن شاء الله..

ابتلعها العجوز، فهمَّ بالوقوف، فصار الكل عصاه المساندة حتى أوصلوه إلى سيارته الفارهة، مودّعينه بباقات الورد الطبيعي، بينما ما زال الشابُّ مُلقىً في قارعة طريق المارّين داخل المشفى، تتصاعد أنفاسه الحزينة متعلّقة في سقف المكان.

وفي أحد مراكز شرطة المدينة، يخرج السائق الجاني

ببراءته من تهمة الهروب من حادث الدهس الذي حصل في أول الأمر، لا لدليل دامغ على براءته، بل لأنه ابن معاليه.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

IV. حِكَايَةُ سَلْمى

قالت كاميليا:

يُحكى أنَّ امرأة مُتلفّعة بخمار أسود، جاءت تتجرجر في مشيتها، رشيقة القامة، جلست على الأرض قُرب المقهى، تنظر في المارّين وتُتمتم بما لا يُفهم، في هيئتها قسوة الماضي والحاضر، متلملمة على بعضها، أرخت رأسها تجاه الأرض، تُقلّب في الحصى بسعف نخلة يابس، وتتكلّم بصوت لا يُسمع، بجانبها طفلٌ يحكّ بين يديه حجرين صغيرين، وضعت أمامها بعض العلب المحتمل أنها ترغب بيعها، ولوحة رُسمت بالزيت: رجلٌ منحنٍ على أرنب رماديّ.

قِيلَ إنّها كانت تنتظر عودة أخيها من لهيب الحرب، لتشمّ في خديه ما بقي من رائحة أهلها، حتى بدت لها التخيّلات، وزحفت إلى منامها الأحلام المفزعة، رأت «.. أنها ضمن ركّاب قافلة صغيرة تذهب في شوارع الأحياء القديمة ليلاً، توقفت عند مدخل الحيّ، ونزلت

حاملة لفافةً من القماش الأبيض، ومشت تجاه البيت، رفعت رداءها عن الماء النجس الجاري من فتحات مجرى جدار طينيّ لبيت قديم، كان الظلام يسدّ كلّ شيء حيث بيتها يقع في آخر الحيّ، أناس يقطعون الحيّ مشياً في صمت مريع، وجوههم غاضبة الملامح، وصلت البيت فإذا بنساء يلبسن الأبيض ويحملن بأيديهنّ ورداً أبيض، نادت:

- هل من أمر؟..

لحظتها خَرَجَت أمّها وخلفها أخواتها في ملامح نافرة، رأتهنّ يذهبن بعيداً وخلفهنّ رجالٌ بأيديهم فؤوس تلمع في العتمة، وفجأة أتى صوت انفجار فتساقطت عند قدميها قطع لحم أمها وأخواتها وعظامهم المحروقة..».

فَزِعَت من نومها تشهق وتقرأ بصوت مرتعد تحصيناً وأدعية.

وفي الصباح أخذت وجبة عزاء للمعوزين، وَقَطَعَت طريقاً شقّها المَرَض مُصطحبةً قارئاً أنقدته ثلاثة دنانير ذهبيّة، ليقرأ على روح أمها وأخواتها، جَلَسَت القرفصاء بين أضرحتهنّ بعد أن أشعلت عند رأس كل ضريح شموعاً طويلة، وقالت بلهجة باردة:

- أحرامٌ أن أتبلّغ بكسرة خبز من بعدكم؟!

مَدّت ساقيها المتسلّختين من وطأة العمر، ثم شبكت أصابعها، فجاءها المنادي من خلفها، كجاراتها الواقفات ليخبرنها بمقتل أخيها الوحيد، بعد أن قصف الخصم أطراف المدينة، وأن جثمانه أودع في تابوت الشهيد وأُعدّ للصلاة عليه في المعبد الكبير:

- سلمى..

سَرَى بصرها نحوهنّ، ورأتهنّ مُطأطئات رؤوسهنّ، يقفن بخضوع، وينظرن إليها بشفقة، فسألتهنّ:

- أيُّ خبرٍ تحملن؟..

فقلن بصوتٍ واحد:

- أخوك!!..

ساوت رداءها الأسود، وقالت وعيناها نصف مغمضتين:

- ما به؟!..

قُلنَ:

- هَلَكَ.. بعد غارة حربية..

فَسَقَطَت غريقةً في دمعها، وهي تردّد:

- ليتهم حملوك على نعشٍ ذهبيّ..

كأنّ أخاها مات مرّتين، لتذوق الفقد مرّتين، مضت تركض في الطرقات الرملية كالهاربة، وعيناها تسبحان في

دمعها، شاعرةً بأنها انقلبت منكسفةً من كل شيء، تركض غاطسةً في بحيرة الظلام، تركض فوق جثث القتلى، يُسمع بكاؤها قادماً من ضيق الأزقة، والمنازل المهجورة من آثار الحرب.

وعند الفجر صحى النائمون على بكائها وهي تضرب نفسها بجذعٍ أسمرٍ طويل، وتتخَلَّص من ثيابها فَاضحةً آثار السياط الموسومة على ظهرها.

وبحيلةٍ ما، توارت عن قعقعات خطوات الخارجين من باب المعبد القصيّ، تلفّعت بالهدوء، توّاقة إلى تابوت أخيها المتروك في الزاوية المظلمة من المعبد، أولجت مفتاح القفل النحاسيّ بارتباك، مَشَت رويداً إلى ركنٍ قصيّ من المعبد فانفتح التابوت عن موتٍ مرّ، فرأت وجهه الموشوم بالهزيمة، ضَغَطَت بركبتيها على خدّ القاع الأسمنتيّة مواريةً أنينها كي لا يشعرنّ بها مخلوق.

دَسّت جسدها راقدة بجانبه تحاور رائحة الموت المنبثقة من جثمانه، مَرَقَ في ذاكرتها مشهده حين كانت تُحرّك جسده المريض بعد ليلةٍ باردة، دكّت الحيرة ملامحها، ومزّقها تأمّلها له، فامتدّت إلى أذنها ارتجافات صوت عابدٍ يدخل ببطء ويقترب من التابوت مُسبّحاً، فأطبقت أجفانها مُتظاهرة بالموت، فأشعل الظُلمة بضوء قنديل تُقرّبه كفّه الكبيرة من الجثمان، فأفجعه المنظر، وفرّ

هارباً وهو يصرخ بالتعاويذ، تبعته خارجة إلى بيتها وهي تبكي أخاها المسجّى، لتنام الحمّى في دمها، وتموت عند الفجر.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

٧. حِكَايَةُ الحُلم

قالت كاميليا:

يُحكى أنَّ فتىً قد انطرح على فراشه كالذبيح، كان لا يتوسّد سوى القلق، ويُشغله التفكير، فجاءهُ الحلم رمادياً قاضّاً راحته:

.. رأى أنه نَفَضَ رأسه عن بقايا النوم، وأدلج في عمق الأرض مهدود الأنفاس، وَسَطَ صمتٍ مُهيب، وبيده فانوس الزيت، لاح له فانوس يضيء في رأس شجرة بعيدة، فإذا بشبحٍ يُحصي قِطَعاً نقديّةً ثقيلة، لَفَظَ فانوسه آخر رمق في زيته، فَمَرَقَ من أمامه الشبح مُلفّعاً بأثوابٍ طويلة، ليعود مُحاطاً بعواءٍ يتقاذفُ من كُلّ الجهات.

رأى نفسه تَحَرّكت بعدها تحت سقوف الجريد الرطبة التي للتو صفّت فوق جدران الطين المعجونة بالتبن، المائلة الأضلاع، يهرول كهرٍّ جائع يتبع رائحة طهي قريبة، عَلا صوتها بالغناء:

- من يبتر الساق المريضة ويريحني؟. . . من يبتر الساق المريضة ويريحني؟. .

وكل ما أعادت الغناء ارتفع صوتها المدكوك بالحزن، وَقَفَ ولجلده شبه انتفاضة وتآكل يذرع عظامه.

بنصف عين أمال رأسه لينظر داخل غرفتها، امرأة في ثياب جارية، لها قرنان مخضّبان بالحناء الذي تعطّ رائحته في طين الغرفة، منكفئة على خرقة كبيرة مربّعة من الخيش المبلّل عليها قطع صغيرة من روث الإبل، تنظر في باطن يديها، ثمّ تنظر أمامها في صندوق من الخشب القصير الذي ضُرِبَ عليه قُفلٌ كبير من النحاس الثقيل، ورصّ فوقها أكواب صغيرة على أفواهها رسوم صغيرة ونقوش مزخرفة، تضرب بكفّها اليسرى ذات الخواتم والفصوص الباهتة صدرها العاري إلا من سلسال طويل ينتهي عند مفرق نهديها من الأسفل، وتزيد في الغناء:

- ابتروا الساق المريضة يا أمراء الليل. . ابتروا الساق المريضة يا أمراء الليل. .

فانتفضت أكثر والتوى الخوف على روحه. . ظهرها وهي تهتز فأثخنت الرهبة قلبه، دوى صوتٌ مريض في الغرفة، فسقط على ركبتيه حاضناً رأسه بين ذراعيه، فسمعه قائلاً لها:

- أكان منك أن تفعلي ذلك فتنالي ما أنت فيه؟..

أفلتت من حنجرتها صرخة حادة تبعتها استغاثة كاللهب:

- أرجوك أخبرهم بأن يعفوا عني، هم أمراء الليل وقادة العَتَمَات فلا يجرؤ عليهم أي الثقلين والله..

هزّ رأسه واستدار مُعطياً ظهره للباب، كان له ذيل كذيل الكلب، واعوجاجة ظهر كظهر النعجة، غليظ الأنف متين البنية، غليظ الملامح، عريض الجبين، صغير العينين تحت حاجبين كثّين، تستقرّ وحمة كبيرة أسفل شفته من اليسار، وعلى جلده بقع سوداء وكأنها مذابة عليه، فقال وهو يرفع يديه الشبيهتين بيد الورل:

- يا أمراء الليل، أما كان العفو إلا ذبيحاً على صفيح البدايات مع الثقلين.

نظرت فيه بعينين واسعتين صفراوين وقالت:

- ذبحوا العفو هناك؟!!

أحنى رأسه في الأرض آمراً:

- حَطّموا الأفلاك..

فدارت بالمكان ريح صوتها كعواء الذئاب، دفعته الريح إلى صخرة قرب الغرفة، وعلى وجهه لطاخ جيريّ لا يدري كيف أتى، وصوت الريح يخرق رأسه فكادت

جمجمته تنفجر من قوّته، يزاوج صرخة الريح صراخ المرأة الذي يأتي من كلّ مكان، ومن السماء أصوات رجال غليظة على هيئة أوامر:

- اسلبوها خلايا الأنوثة، وبقايا التبويض..

فسكتت الريح فجأة، وظهرت المرأة في ثياب تسعينيّة تتعكّز على عصا من اللحاء الملفوف بالليف الناعم، وخلفها بقرة ذات أظلاف طويلة تعلج في قميصها النتن، اختلفت الحياة بعد موت الريح، أقبلت إليه المرأة وهي تجرّ سنواتها التسعين، لتقول بصوت شبه ميت:

- ألا تهبني غلاماً من سلالتك الرقيقة يا فتى؟..

اعتدل واحتكت عظام ظهره بالصخرة وأكملت سائلة:

- لقد أبقوا لي بويضة واحدة أختار من الذكور من ينشئها بسلالته.. ألا تهبني غلاماً؟

انتفضت أنفاسه الأخيرة عند مدخل حنجرته، وهي تقول:

- امنحني سمعك وفؤادك لأحكي لك.

اقتربت منه وأخذت تضغط بسبّابتها اليمنى زرار رداءه الأوسط، ويسراها على رأس بقرتها، لعابه غدا صَلْباً في حلقه، وذكورته انطفأت جرّاء منظرها البشع، ووجهها متهدّل رخو أشهب، وبين شفتيها فرجة كبيرة تُرى منها

لثّتها الخالية من الأسنان، يرشّه لعابها كل ما قالت بأسى عن أنوثتها:

- ألا ليت منك ما يُعيد لي مائي ويُحيي أغصان أنوثتي.

ابيضّت شفتاه من الرعب وانكمشت عروقه على دمه القليل، فأذّن صوت في السماء قائلاً:

- أعيدوها للتراب وانسوا الأرض وطء أقدامها..

فحال بينها وبين رأس بقرتها وخوارها يزجّ الزبد في وجهها، فسقط جانباً وراحت أظلاف البقرة تُهشّم رِقّة عظامها التي تكسّرت كاللحاء.

ظنّ كلّ الظن أن بقرتها ستلحقه بعظامها لكنها أمضت الوقت تعبث بأشلائها وترمي بكسور عظامها في كلّ اتجاه، وما أن توقّفت عن ذلك حتى استدارت نحو المغيب وسارت ووجهها في الأرض يدفع منخرها الواسع جفاف الرمل أمامها، وَضَع يده على نبضه السريع يجسّ ما بقي له من هَلَع ما رأى.. وما أن بَردت عظامه وارتاحت أنفاسه، فإذا بدابّة رخويّة ذات جلد أملس أخضر تجيء من خلف الغرفة، تأكل عظامها وتمزّق ما بقي من ردائها.. أرخى يده على عورته فرفعت فيه وجهها فبان على أنيابها بقايا الرداء وكسور العظم..

عندها. . صَحَى من نومه، وَعَرَقُ الرّهبة يرشح من مسامه، وعلى ظهر فراشه تدفّق الملح، وغدت وسادته الصغيرة أشدّ رطوبة.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق. .

VI. حِكَايَةُ عجوز المقهى

قالت كاميليا :

يُحكى أنّ رجلاً في إحدى الليالي راودته نفسه إلى مقهى صغير رُصفت مقدّمته بالأحجار الكرويّة، انقلب إلى مرتعٍ لأحلام السكارى والمعتوهين والمحبطين، الذين كوّنتهم الحرب وأنبتت اليأس في صدورهم، تتطارد من تحت كراسيهم وطاولاتهم الخشبيّة قطط المصاطب، وهم ساكنون مستغرقين في أحلامهم، أو يطالعون أحداث الحرب في صحف اليوم.

أمام المقهى، بيوت حائلة، وَمَزَاريب مياه واسعة، وَرَوَاشين، وأسطح تُشاغبها روائح القمائم المكدّسة أسفل منها، قربها آليات عسكرية خَرِبة، نداء صاحب يتطاير من أفواه الزبائن، ونساء يتبادلن أخبار الحرب، وقُربهنّ فتيان يتجاذبون النكات العسكرية الصارخة، جلس الرجل لصق نافذة المقهى من الشارع الجانبي: غائر الخدين تجاعيد جبهته متزاحمة، كثّ الشعر، فوق رصيفٍ عليه آثار ما بعد

الحرب، بقرب جدارٍ رماديٍّ كُتبت عليه عبارات خادشة بطبشورٍ أصفر، نتنه يطرد الزبائن بعيداً عنه، ارتشف قهوته ليهزّه صوت يصرخ تحت الفجر، استدار بكرسيّه فإذا بعجوزٍ طويلة الجذع، ذات وجهٍ مملوء بالنتوءات والحُفَر مهيبة المنظر، تقف على صندوقٍ خشبيّ مقلوب، تنادي من أعمق صوتها، وتصرخ عن أسنان أتلفها التبغ:

- هُبّوا إلى دواء الموت أيها الأحياء، قبل وَلْوَلة الحرب وطلقات الرصاص وخشخشة السلاح..

وحين سكتت، هبّ إليها تسبقه يداه بكأسه الفارغة، فبادره جنديّ برصاصتين، كان يقف على حافة الطريق زاوية الحيّ، ظنّاً منه أنّه هارب من فرقة ليليّة، فانزلق وسقط في نقعٍ ملوّثٍ يصبغ دمه الرصيف.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

VII. حِكَايَةُ الإرهابي الصغير

قالت كاميليا:

يُحكى أنّ إرهابيّاً صغيراً، قُتِل أبوه المزواج من جماعة مجهولة، حين كان نطفةً دافئةً في رَحِمِ أمه التي تصغر أباه بثلاثين عاماً، وحين خَرَجَ إلى الدنيا وَجَد دَيناً كبيراً ينتظره، أثقله حتّى خرج من أبواب المراهقة، فَسَمِلَت الظروف عيني صبره، ولم يصمد أمام الدائنين الذين يُساومونه على شراء المنزل لسداد دين أبيه.

تركه إخوته من أبيه، الصاعدين سلالم سنواتهم الخمسين، فلجأ إلى جماعة عظيمة التطرّف، وهبته اسماً: مالك، وَسَكَبت عليه المال مقابل أن ينتمي إلى أفرادها، وحين أصبح منهم سُدّت ديون أبيه، وتوفّرت أقراص العلاج الصغيرة لأمّه، وَشَبعَ إخوته الصغار، ولمّا اطمأنّ عليهم أحكم سلاحه، ورَكَضَ نحو الموت.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

VIII. حِكَايَةُ ثَكْلاء

قالت كاميليا:

يُحكىَ أنَّهُ في ليلة حالكة الظلام، مدهونٌ سكونها برائحة الخوف، جلست من نومها (ثكلاء)، تلك العجوز الثمانينيّة، التي أثقلتها السنون، وألجمها الهَرَم بلا رحمة، تنظر في غرفتها العتيقة، التي لا يوجد فيها إلا فُتاتٌ من ذكريات زوجها الذي فارقها، وهي في عامها الخمسين، إثر مرضٍ عُضَالٍ خطفه الموت بعدها من بين يديها، وهي أُمّ لرجلين، كانا في عامهما العشرين، وهي الآن تمشط جديلة الحزن والحنين في كل أرجاء هذه الغرفة.

نظرت إلى خزانتها المهشّمة، التي ما زال فستان فرحها ليلة زواجها مُعَلَّقاً داخله، وقد فُتِقَ من كل زاوية، وهناك أدراجها التي ضَمّت عُلبَ مكياجها الذي كان هدية من هدايا زوجها، وفي الجهة المقابلة لها ما زالت مكتبة زوجها الغابرة التي لم يقربها أحدٌ بعد وفاته، سوى عينيها، تتذكره عندما كان لا يفارق هذه الكتب والأوراق،

وَطَالَما حدَّثها عن ما في بطن هذه المكتبة من العلوم والمعرفة.

التفتت يميناً، ومَرَّرت نظرها المنهك إلى نافذة الغرفة، لتُعَزّي تلك القمريّة التي اصطاد الصيادون ذكرها قبل أسابيع، وتنظر إليها ساكنة في عُشّها المشتّت، وأخذت تُحدِّثُ نفسها:

- هذه القمرية، حَرْبَةُ الفراق زُجّت في ضلوعها وآذتها كما آذتني، لا عَجَب في هذه الدنيا، فكم قَطَفَت من أحبّة، فأنا منذ ثلاثين عاماً أصحو في مثل هذه الساعة، لأرمق المكان، وأعاتب الزمان، وأصطلي على نار الألم، فرحماك يا رب العالمين.

عَادَت لنومها مُغطّيةً رأسها بلحافها الرديء الذي لم يبقَ فيه من رائحة زوجها سوى القليل، الذي تُسيّر به ركب أيامها الباقية لها في هذه الحياة، تاركةً في جفنها الثقيل، دمعةً موعدها كل ليلٍ تبيت في أروقة عينها المفارقة.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

IX. حِكَايَةُ الشَّاب المُتظاهِر

قالت كاميليا:

يُحكَى أنّ شاباً مُتظاهراً، استلَفَ طِلاءً أحمرَ وَهَّاجاً من جاره، واشترى ثلاثة أمتار من القماش الأزرق المتين. نَصَفَ اللوحَ الدقيقَ بمنشارٍ عَثَرَ عليه في مخزن والده، ليقوم بعدها بخَطِّ شِعار المظاهرة ضِدّ الحكومة بخطٍّ عريض.

وَقَفَ أمام باب البيت بعد أن لفَّ الشعار ولفَّ جزءاً منه حول بطنه، فَشَعَرَ وكأنّه ظبي سيقفز للمرّة الأولى، لكن النشوة لم تَدُم دقائق، حيث أرعبه جنديٌ ضخمٌ يضع يده على كتفه، ويسأله بوجهٍ غاضبٍ مُستفسراً:

- من أيّ حزبٍ أنت؟

ارتجف وأحسّ بالورطة، وحين تباطأ الجندي رَدّه أومأ لأصحابه فأخذوه في عربة المعتقلين.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

X. حِكَايَة الخمسينيّ المطلوب

قالت كاميليا:

يُحكى أنّ مجموعة من الجند في فجر يوم من الأيام، ذهبوا بأسلحة مشبعة بالذخيرة، طرقوا باباً لأحد المطلوبين، ولم يجب أحد، طرقوا مرة أخرى ولم يفتح أحد، انتبهوا إلى امرأة تنظر إليهم من نافذتها، فشعروا بكثير من السخرية والانتقاص في نظراتها، شدّ أحدهم قبضته وأمرهم صارخاً:

- اكسروه..

فتعاقبوا على الباب ببنادقهم فانخلع إلا قليلاً، أكمل ذلك بطلقة سدّدها للقفل فانفتح مخلوعاً، اندفعوا يطلقون الرصاص عشوائياً، تاركين أجهزة كهربائية ثَقَبَها الرصاص، وأدوات مطبخ محطّمة، ولوحة حائط كبيرة أسقطتها الرصاصة الأولى، لم يجدوا سوى رجل في الخمسينات، حليق الذقن، كثيف الحواجب، طويل الأنف، جسده مسترخٍ على كرسيّ هزّاز، ووجهه للسقف،

وفي حضنه كتاب مفتوح تتوسّطه نظارة طبيّة، صُبغت صفحاته بقطرات دم مُتعرّجة من جبينه، وعند كعب قدمه اليسرى مسدس من الصنع الأميركي، بدى لهم أنه وقع من يده المتدلّية فوقه، كانت رصاصة واحدة قد أودعها منتصف رأسه، مذ سمع الطرق على الباب.

لمسَ أحدهم بباطن سبّابته الدم في صفحة الكتاب، كان حاراً سائلاً لم يجمد أو يتخثّر بعد، تأكد لهم أنه انتحر كهروب من أن يقتلوه، وتصوّر لهم أيضاً أنها إهانة لهم كي لا يحظوا بقتله بعد الظفر بما لديه من معلومات عن بقية الخصوم.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XI. حِكَايَةُ ليلتين

قالت كاميليا:

يُحكى أنّه في ليلة من ليالي آذار، أتى نَغَمٌ من مكان في الخلف، حين أقبل عاشق إلى معشوقته، وفي يديه قدحٌ نحاسيٌّ، رآها نحيلة تلبس غلالة نومٍ شفّافة، تلاقت تمتماتهما الحذرة مع قهقهاتهما الصاخبةً، عندها زَحَفَت أنامله اليمنى فوق عنقها كتيارٍ كهربائيّ، فرجاها أن تراقصه فراقصته، فشدّت ثوبها المنحسر عن ساقيها هرباً من بصره السارق. ومضى يشبك يديه على ردفيها، فتناهى صوتها عميقاً تحمله رِقّةٌ مُتخمةٌ بالودّ، فَتَهَالك في حُبّها، مُلقياً بنفسه على قوامها حتّى دَفَقَ الضياء خيوطه.

وفي الليلة التالية، أعادا ما فعلاه الليلة الماضية، خَضّبت يدها وذراعها بالحنَّاء الأسود، وَبَخّرت شعرها الفاحم، وارتدت ثوباً يَشفُّ عن اللهب، فاستقبلته وكان قد شَرِب حتّى تلاشى عقله، فأدمى أنفها، وَشَرَمَ شفتها، وَتَرَكَ آثار أظفاره على كتفيها العاجيين، رفعت يدها

محاولة حماية نفسها، كانت يده أشبه بماسورة لا يداً بشريّة، رمقته بعينَي ذئبة جريحة، بلعت دماً ونظراتها عالقة في عينيه، ألصقت جبهتها في الحائط مستمعة إلى دفعه للباب بعنف، عابراً بخطواته الثقيلة الممرّ، ثم بأخرى متناهية على درج البناية نازلاً، فَشَرَعَت بعد ذلك تُحطّم كلّ أثاث شقتها.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XII. حِكَايَةُ الرجل الشرقي

قالت كاميليا كالمتذكّرة:

حَكَى لي رجل شرقي يوماً وقال: كعادتي كل صباح أنهض متكاسلاً، أهشّ بيدي على خفافيش النوم حتى تبتعد عن سمائي، أزعج المكان بتثاؤبي الثقيل، لأسمع زجاج النوم قد تحطّم من حولي، أحدّق في سقف غرفتي وكأني أشاهده للوهلة الأولى، أراقب زخارفه الملوّنة بنهم، وأغازل خطوط الجبس الملصقة عليه بتمعّن شديد، تكاد هذه العادة لا تفارقني كل صباح.

أدفع بعدها ببطانيّتي سورية الصنع عن جسمي النحيل، وكأني أدفع كيساً كبيراً من القمح، ثم أتّجه إلى حمام غرفتي ببطء شديد، كالماشي على البيض خشية أن يتكسّر، فأقف على باب الحمّام قليلاً، وكأني أتلصّص عليه، أدلفه، وأدخل بهدوء حتى لا تستيقظ زوجتي.

أفتح صنبور الماء فترحّب بي قطراته الأولى، فأدرج كفَّي تحته حتى تغرقا بللاً، فأغسل وجهي ثم أدعكه

بالصابون المحبّب إليّ، أرفع بعدها رأسي لأشاهد وجهي المعجون بالماء والصابون، وكأنه يقول لي:

- ما أحمقك.

فتتسع عيناي دهشة، وأحسب أنّي صدّقت نفسي!!.. أخرج من ملابسي وأشتمها علناً، بعد أن أعلنت دفنها في سلة الملابس المخصّصة للغسيل.

أدخل بعدها في حوض الماء الفائح برائحة الصابون المغربي لأغرق فيه بضع دقائق.. بعد نصف ساعة أكون متّجهاً إلى عملي اليوميّ.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XIII. حِكَايَةُ الفتاةِ والمَطَر

قالت كاميليا:

يُحكَى أنّ الشمس كانت تغسل رأس المدينة عن همومها أكثر من صباح عنفوانيّ، والأطياف العتيقة تعبر أزقة المدينة المملوءة بالصخب والضجر، لم يكن لحن الهدوء عازف، ولم تكن تحلم تلك المدينة بيومٍ يُبشّرها بحديثٍ يغزل جديلتها المجعّدة من ضغوط الحياة المبثوثة في كل شوارعها الضيّقة قبل الواسعة.

هناك حيٌّ مولودٌ في شرق هذه المدينة، تسكنه أنوثة الفتيات الجميلات، وتطوف به أحلام المراهقين المارّين بأعمدة إنارته الأنيقة، وتشجير شوارعه الممتدّة أمام منزل إحدى الفاتنات.

في ربيعها العشرين، ملامحها تُشعّ كالبريق، وأناملها الطريّة التي دائماً تشغلها بتقليم أظفارها الورديّة، حطّت كحمامة على شبّاكها الرومانسي، تكون المسافة بين أنفها

المغري وزجاج النافذة أقلّ من سنتمترات، قد تشعر الزجاجة مع أنها جماد بدفء أنفاسها النائمة عليها.

التحم السحاب ببعضه، وهي أمامه، يصدح مجلجلاً بصوته المخيف، فانسلّت سيوف البرق من أغمادها، وقسمت ثوب السماء، وهي تُطلّ من شبّاكها وتأمّلها ينغمس في السماء أكثر وأكثر.

لحظات حتى زخّ المطر واستبشرت المدينة بالرّواء بعد الجدب الذي يلازمها أكثر من ثلاثة أرباع السنة كما اعتاد أهلها، وانفتحت خزائن الرحمان بالرحمة.

سَحابٌ ينثر على رأس المدينة مطراً نقيّاً مغيثاً، وما زال شبّاكها مسروراً بلقائها مع أنه جماد، أرخت أهدابها لتشاهد العابرين والهاربين من المطر، وترقب الحذر الطاغي على قائدي المركبات خشية الانزلاق من أثر الماء الذي لحف الأسفلت المتصدّع، وقفت طويلاً والهواء البارد يرتطم بشبّاكها الذي يُشرق من خلفه وجهها، لحظات. . نُقِرَ باب غرفتها نقرتين، لم تلقَ بالاً، نقرتين أيضاً، التفتت إلى بابها المزخرف، ورفرف من شفتها سؤالها:

- من بالباب؟

بهمس:

- أنا عمّتك أريد الدخول.

طلبت قائلة:

- لحظات يا عمّتي، لحظات.

ساوت فراشها على عجل، وأغلقت بعض أدراج خزانتها المفتوحة، ونظرت إلى شكلها في المرآة ثم نادت:

- تفضلّي يا عمتي

أُديرت يد الباب الذهبية إلى أسفل لتدخل عمتها، ثم ألقت نظرة عامة على الغرفة وهي تقول:

- كنت أعتقد أنكِ مكبّلة بالنوم فخشيت أن تكوني قد نسيتِ الشبّاك مفتوح فتتأثري من المطر والهواء البارد.

ثم استدارت، وخرجت تاركة لانغلاق الباب صوتاً مزعجاً.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XIV. حِكَايَةُ الأربعين ريالاً

قالت كاميليا:

يُحكى أنَّ امرأة تَوَقَّفت سيّارة الأجرة أمام منزلها، انفتح الباب الخلفي الأيمن الذي تملأه الخدوش والأوساخ.. داست بحذائها البني الوطني الصنع الإسفلت المتكسّر.. انفتحت نافذة السيارة الأمامية للراكب لتقذف على مرتبتها المتشقِّقة أربعين ريالاً قيمة توصيلها، ثم أدارت للسائق ظهرها النحيل، ومضت قاصدةً باب منزلها المزخرف، وما إن اكتمل للسائق قوامها من الخلف حتى صاح بها وعيناه تلتهم جسدها المشتعل:

- خمسين ريالاً مدام.

تَوَقَّفَت ثم التفتت إليه ثلاثة أرباع الالتفات وقالت بصوت تُبَلِّله الأنوثة:

- هذه المسافة أدفع دائماً عليها أربعين ريالاً..

وغمزت بسهم من عينها الكحيلة الناعسة، فانفتح فمه

حتّى دقَّت عظام فَكَّيه إلى أن أولجت المفتاح في قلب الباب، ودخلت كغانية ترتدي كامل ثقتها بجمالها.

أدار السائق وجهه القبيح إلى الأمام، وانطلق بقوة تاركاً الغبار والحصى يتطاير خلفه.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XV. حِكَايَةُ نَعْش

قالت كاميليا:

يُحكَى أنّه في ضحى يومٍ من الأيام، كان الموت قد فَرَشَ رائحته على المشيِّعين السائرين خلف نعشٍ شديد الصُفرة، وهم مطأطئي الرؤوس حُزناً، ليسأل أحدهم:

- من المتوفّى؟!..

لم يُجبه من السائرين غير شيخٍ أعمى يلبس نظارة سوداء مُربّعة العدسة، يقودُهُ من يده اليمنى ذات الجلد الجاف حفيده ذو السنوات الاثنتي عشرة:

- لِمَ لا تسأله هو؟..

أخرج الرجل لسانه الأبيض هازئاً:

- أأفتح الكفن عنه أم ماذا؟.. أظنك تمزح!!..

نَزَعَ الشيخ كفّه من حفيده وقبض على رداءه الممزّق مؤكداً:

- أضمن لك أنّه سيجيبك..

وكأنَّ جُملته حَجَرٌ أُلقي في بئر جافة، فانسلّ المشيعين في صمت.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XVI. حِكَايَةُ الفتى وَخَبرِ أُمّه

قالت كاميليا:

يُحكى أنَّ فتىً أخبروه بوفاة أُمه فجأة!!.. لم يكن مستعداً لتلَقّي الخبر.. ارتخت يداه وسقطتا في حضنه.. بَلَع ريقه مَرَّتين متتاليتين.. أحسّوا بعبرةٍ تركل حنجرته.. فبالكاد خَرَجَ السؤال من حلقه:

- كيف ماتت؟!

ثم وضع رأسه بين كفيه، وأخذ نَفَساً سريعاً، وأعاد السؤال:

- كيف ماتت؟!

لم يُجب أحد من الجالسين حوله.. مسح وجهه بباطن يده اليمنى.. فالخبر فَتَّت قلبه ودهس أحشائه.. أخذ ألمه، وحطام أمله، وبقايا يأسه معه، وانتقل إلى غرفة مجاورة لهم ليريق ما تَبقَّى لديه من حزنٍ على انفراد،

وبعد أن أفرغ كل ما به من وجعٍ سليط، أضجع جسده على اليمين فانتهت عيناه إلى مرافئ النوم.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XVII. حِكَايَةُ البَدَويّ المُدلج

قالت كاميليا:

يُحكى أنّه في صحراء الدهناء الشاسعة، أدلج ذلك البدوي الكادح الطموح، الذي لم تُغري عينيه حياة التمدّن، ولم يفكّر في أن تغرق أذناه في صخب الشوارع المزدحمة، أدلج بقدمين حافيتين صامدتين فوق الرمال الذهبية، تتلوه خمسٌ من النوق الصفراء، مُعلّقاً على إحداهنّ قربته الصامدة، وبندقيته المتينة، ومِزْوَدَتهُ المتواضعة.

أثناء السير المتواصل دَحرَجَ نظرةً إلى اليمين فرأى على مدّ بصره شعاع النور المنبسط على أكتاف المدينة كالجديلة على أكتاف جميلة من الجميلات، فَغَرسَ نفسه بُرهةً من الوقت سائلاً نفسه:

- أيعمر أهل المدينة مدينتهم بذكر الله كما عمروها بالتطوّر العمراني المهول؟..

- هل باب يومهم مفتوح بصلاة الفجر مع الجماعة وموصدٌ بصلاة العشاء مع الجماعة؟..

- هل أنفسهم مغموسةٌ في الطاعات بعدد ما هي مغموسة في الملهيات والملذات؟..

- هل قدروا الله حقّ قدره، أم أكلت أرضة الغفلة خشب أرواحهم؟..

- هل؟.. وهل؟.. وهل؟..

بِضْعة تساؤلات تنهش جدار صدر هذا البدوي المتذلّل إلى ربه، فهو في شغف طويل عريضٍ لمعرفة الإجابة المختبئة تحت أثواب الحقيقة المرّة، وفي غمضة عينٍ وانتباهتها، يرتطم صوت الإجابة من خلف كثبان الصحراء الغارقة بروائح الحرمل والعرفج والعشب البريّ، قائلةً له:

«حُثَّ السير، ولا تمكث لإجابة قد تقِضُّ مضجعك، وتحفر اليأس في أرض أَمَلِكَ الممتد بالخير.. أيها البدوي، ما بالك بهؤلاء المقبلين بخيلهم، ورَجِلِهم خلف الدنيا القذرة، ما بالك بقومٍ أصيبوا بسعار حب المال، حُثّ السير أيها البدوي، لاً تسأل حتى لا يصيبك دوار الإجابة المحبطة، حثّ السير أو عُد إلى خيمتك الهائدة، وأشعل نارك وافتح مصحفك ورتّل مع نسيم الليل المغري قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾،

حتى يسري بها حادي الليل إلى أسماع المتمدّنين من بني البشر، لعلّها تُحدثُ أمراً..».

فما كان من ذلك البدوي إلا أن رفع رأسه إلى السماء، وقَذَفَ من فَمِهِ الذي ضمَّ بين شفتيه سواكاً من الأراك قائلاً:

- اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة..

فشَدّ خطام ناقته فتلتها بقية النوق ولسانه يلهث بـ«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»..

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XVIII. حِكَايَةُ البهلول

قالت كاميليا:

يُحكى أنّ بهلولاً جَلَسَ القرفصاء أمام أحد المقاهي المتناثرة على شريط الطريق الساحلي، أخرج من جيبه عُلبة التبغ، وألقم فاه طرف إحدى تلك السجائر، وأخذت عيناه تحلّق في المارّين أمامه، أخذ نفساً من الدخان، وزفره في كبد الهواء، تخشّبت عيناه في المقهى المقابل له، سيجارة تلو أخرى، تلو أخرى، وأخذت أسئلة المارين تتدحرج أمامه بلا استحياء:

«ما أحمق هذا الرجل؟!!.. ما أعجب شأنه؟!!..».

وهو ما زال يقتل سجائره بلا ملل، فوقف أمامه صبيٌّ في عقده الأول، وقذف في وجهه قائلاً:

- ألا يوجد لديك بيت، حتى تنشر عفنك أمام المارّين في هذا الشارع؟!..

فغصّ الرجل بدخانه، وارتفع صوت سعاله، ثم تنهّد وقال:

- ما أغباك من صبي، ما أنا إلا هاربٌ من البيت إلى الشارع!..

فاستدار الصبيّ، وأكمل سيره، وعلامات التعجّب تتقافز فوق رأسه.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَمَضَت تُقلّب في الأوراق..

XIX. حِكَايَاتٌ صِغار

قالت كاميليا:

الحِكَايَةُ الأولى.

يُحكى أنّ أمّةً منتفضة في صباحٍ غاضب، تعلو هتافاتها المُعارِضة بحدّة، يحاول شقيٌّ أن ينسلّ بأمّه المريضة من الطوفان البشري، ليسعفها قبل أن يسحقها الألم، وحين تمكّن من الوصول لمركزٍ صحيٍّ داخل حيٍّ صغيرٍ خلف الشارع الذي يجري فوقه نهر الثوّار، قُبض عليه بتهمة دعم الثورة من داخل الأحياء الصغيرة.

الحِكَايَةُ الثانية.

يُحكى أنّ امرأة ما أن يرمي الليل عباءته السوداء، حتى تكون قد سَبَقَت العصافير قبل تغريدها، لاستقبال خيوط الفجر النافذة من نافذة السماء، تسبق الوقت لتكون في ركب السائرات إلى التدريس التعيس.

تقف على قدمٍ منهكةٍ حتى تقرع الظهيرة جرس

المغادرة، وما أن تصل إلى منزلها المستأجر، حتى تُمرِّغَ جسدها المنهدم في وَحْلِ همومها حتى الصَّباح.

الحِكَايَةُ الثالثة.

يُحكى أنّ عاشقةً كانت تُقلّب قلب عاشقها بين كفّيها الطريّين، وهو يراقب هذا القلب بحذر، تمرّره بين أصابعها الحليبيّة ككرة مطّاطيّة، عيناه تراقبانه بحذرٍ أكثر، تغرس أظفارها الفارهة في عروقه برفق ثم تنزعها خلسة، فلم يخرج الدم بل كانت أوتار الحنين تُدندن من الجروح التي حفرتها.

الحِكَايَةُ الرابعة.

يُحكى أن عينيه كانتا تفترسانها بلا رأفة، أمضى وقتاً ليس بالطويل وهو يفرك روحه على لونها الفائر بالسحر، وجدت أخاديد لعابه ممرّاتٍ واسعةٍ حول فمه الفاغر دهشة ولهفة، انقضّ عليها فظفر بآخر قطعة منها، لقد كانت آخر قطعة حلوى تناولها الحضور.

الحِكَايَةُ الخامسة.

يُحكى أنّ طفلاً سَارَ في جنازة جدّه إلى المقبرة، وحين أُهيلَ عليه الرمل قال في قرارة نفسه:

- كيف لجدّي أن يَتَحَمّلَ كل هذا الحمل من الرمل؟!

الحِكَايَةُ السادسة.

رَنّ هاتفه الملقى على طاولته المهترئة، التفت إليه بانزعاج، ثم عاد لإكمال مقاله المستعجل، تصاعد صوت الهاتف مرّة أُخرى، لَكَزَ زرّه الأحمر، ونَهَضَ منصرفاً إلى حيث لا يعلم.

سَكَتت بعدها كاميليا، وَفغرت عن تثاؤب طويل..

الخاتمة – مَحَطَّةُ البَاص

وحين انتهت كاميليا من رواية حِكَايَاتِهَا، أراحت يدها على ظهر الأخرى وابتسمت قائلة:

- هل كنت تُحدّق في فخذَي طوال قراءتي للحكايات؟!..

فتعالى ضحكهما وبالكاد خَفَت، أطبقت يديها على كومة الأوراق المنبسطة على فخذَيها النضرَين، وبعد صمت، خَفَتَ صوتها المبحوح الذي رافقه طوال الوقت في هذا الباص العتيق، وسَقَطَت يدها البيضاء جانباً، جرّاء نعاسٍ خَطَفَ أجفانها.

وبعد أقل من نصف السَّاعة، تباطأت عجلات الباص حتى تَوَقّفت، كان الليل وقتها قد جَمَعَ أرديته وأصبح الفجر على مَقْرُبة، تُقابل محطة الباص شاحناتٌ ذات أحواض صدئة، وعربات نقلٍ صغيرةٍ تعبرُ أزقةً معتمةً بعض أطرافها مُضاءة، قربها أسلاك أعمدة مُلقاة، بعضها مُلتفّ، أمام خَرَاباتٍ متروسة بلطاخٍ من الجير، حيث ثَمَلة مُترنّحون ذوو أجساد ممتلئة بالنتوءات والحُفَر، يختفون

فيها حتّى يدقّ الصحو رؤوسهم، تُجاور المحطة مقبرة قديمة أُغلقت من سنوات.

فُتح الباب، وقام سائق الباص الآسيوي وأطفأ التكييف، وطلب من الركّاب النزول إلى المحطة، وَدّعها الأربعيني بعد أن مسح خدّها الأيسر بظهر يده اليمنى شاكراً:

- ما ألطفكِ.

أعادت لَفّ الأوراق كما استلّتها من مكانها الأصلي، ووضعتها في يده:

- انشرها إن رغبت، في ظنّي أنها كانت رغبة العم كريم لكن الموت قطع عليه الطريق إلى ذلك.

- سأقول عنها إذاً: هذا ما رَوَاهُ العم كريم.

وبنظرة مائعة قالت:

- بل هذا ما روته كاميليا.

- ليكن ذلك من الغد إذاً.

وافترقا..

ثم حملت كتبها على ردفها، وحقيبتها المكعّبة في يد، ماشية تحت شمس مايو تجاه مصير ينتظرها.

..النِّهاية..

ماجد سليمان

إقليم نجد، مايو 2018م

ماجد سليمان

ما رَوَته كاميليا

على غرار **ألف ليلة وليلة**، تذهب بنا هذه الحكايات العشرون ونيف، إلى حالات إنسانية فاتنة تمتح من كل أرض غرائبية، وسحرية، وواقعية، وخيالية.

توزيع

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com

النادي الأدبي بالرياض

لوحة الغلاف للفنان نيكولا دو ستاييل